

مكاسب إسرائيل من الاحتلال الأمريكي للعراق

21-2-2004

تمكن إسرائيليون من امتلاك مساحة كبيرة من الأراضي الخصبة في المنطقة العراقية الشمالية، والتي سُمكّنهم من تحقيق هدف استراتيجي في نفس الوقت وهو مراقبة الحدود العراقية- السورية، مما سيكون له أثر بالغ على زعزعة الأمن على الحدود السورية إذا ما رأت إسرائيل ضرورة شن الحرب على سوريا كما يتم التخطيط لذلك منذ احتلال العراق بل وقبل ذلك! هذا بالإضافة إلى مكاسب اقتصادية متفرقة مثل تهريب الأدوات الكهربائية والصحية وبعض مواد التكنولوجيا الإسرائيلية المستعملة وغير الجيدة -والتي لا يوجد لها سوق في إسرائيل ربما لتلفها أو ارتفاع ثمنها- لبيعها في العراق.

بقلم محمد زيادة

قبل الشروع في الحديث عن المكاسب الإسرائيلية من الحرب الأمريكية على العراق، ينبغي التأكيد على أن هذه المكاسب المرصودة في هذا المقال ليست هي المحصلة النهائية لكافة المكاسب.. فطالما بقي الاحتلال الأمريكي في العراق فإن المكاسب تتكشف يوماً بعد يوم، والأطماع الصهيونية لا تتوقف عند حد معين إلى أن يتم لها تحقيق الهدف الكبير أو ما يسميه اليهود بمختلف اتجاهاتهم بـ"الحلم الكبير" المتمثل في أرض الميعاد.

وبطبيعة الحال فإن أرض الميعاد التي ينتظرها اليهود تبدأ حدودها حسب المزاعم التوراتية والتلمودية من النيل وتنتهي عند الفرات، ولكن يبدو أن الحلم يتحقق بطريقة عكسية من الفرات إلى النيل-على حد وصف صحيفة "هتسوفيه" العبرية الدينية 15 أبريل 2003م- التابعة لحزب المفدال الديني اليهودي-! كما أنه من الضروري أن تُشير في بداية الحديث عن المكاسب الإسرائيلية إلى ما قاله "إيتان هابر" المحلل السياسي لصحيفة "يديعوت حرونوت" الإسرائيلية في 19 مارس 2003 أي قبل الحرب بيوم واحد فقط: "الحرب الأمريكية المحتملة على العراق ستكون الحرب السابعة في تاريخ إسرائيل منذ تأسيسها عام 1948، ويمكننا استنتاج أن الحرب السابعة لإسرائيل ستكون حرباً بلا ضحايا، وسيبدأ منها الانقلاب المأمول في الشرق الأوسط".

وهذه العبارة كانت أبلغ دليل على أن الحرب في مجملها تخدم إسرائيل في المقام الأول واللوبي اليهودي العالمي الذي بات مسيطراً بشكل واضح على الحياة الأمريكية التي يديرها سياسيون أمريكيون موالون للكيان الإسرائيلي. ويمكننا رصد عدد كبير من هذه المكاسب.

المكاسب الدينية:

تعتبر المكاسب الدينية لليهود من احتلال العراق من قبل القوات الأمريكية والبريطانية هي أهم المكاسب للإسرائيليين بصفة خاصة واليهود بصفة عامة، ولم يكن غريباً أن تنقل لنا وسائل الإعلام العبرية أولى ثمار هذا الاحتلال، والتي تندرج تحت بند المكاسب الدينية، وتتمثل في سيطرة اليهود على جزء كبير من قرية تسمى "كيفلي" داخل مدينة النجف الأشرف الشيعية بالعراق تحت مزاعم وجود قبر أحد أنبياء بني إسرائيل بها وهو النبي "يحرقيال"، حيث عمدت قوات المارينز إلى تسهيل عملية نقل ملكية هذا الجزء من القرية إلى أيدي اليهود ولمسؤولي الحكومة الإسرائيلية الذين أوفدوا -وفقاً لملاحق "سوف هاشفاوع" العبري الأسبوعي في أبريل 2004م- حاخامات حكوميين وغير حكوميين إلى القرية، حيث تسلموا مفاتيح المقبرة وبدأوا في إنشاء معبد كبير حول القبر ليتسنى لهم الصلاة فيه، ودعوة اليهود من شتى بقاع العالم للصلاة فيه والاحتفال بأعيادهم في أرض العراق المحتل. ويمكننا بسهولة الربط بين هذا المكسب الديني وبين الرؤية التوراتية -التلمودية الكاذبة حول فكرة "أرض الميعاد" التي سبق وأشرنا إلى أن أحد طرفيها لا بد وأن يكون في العراق.

ثاني المكاسب الدينية اليهودية هو تحقيق هدف توراتي قديم وهو ضرورة القضاء على "البابليين" وهم العراقيون حسب ما جاء في العهد القديم، حيث تشير بعض النبوءات - التي لا يريد اليهود الاعتراف بها رغم وجودها في كتبهم الدينية- إلى أن البابليين سيقومون بطرد اليهود في آخر الزمان، فلم يكن مُستبعداً أن نرى حاخامات ممن يرفضون هذه النبوءة يقيمون احتفالات دينية صارخة في معابدهم بالقدس المحتلة تُبشر ببداية تكوين ما وصفوه بـ"الحلم الكبير لليهود".. لكن لا بد من الإشارة إلى أن اليهود في إسرائيل بصفة خاصة يعترفون بأن هذا الهدف لم يتحقق كلياً حيث يجب وفقاً لمزاعمهم أن يببّدوا "البابليين" جميعهم وهو ما يعني ضرورة قتل كافة أبناء الشعب العراقي! المكاسب العسكرية:

لاشك أن المكاسب العسكرية التي جنتها إسرائيل من احتلال العراق متعددة الأشكال والجوانب، فهناك مكاسب على مستوى أفراد جيش الاحتلال الإسرائيلي، وأخرى تتعلق بتطوير الآلات العسكرية.

*مكاسب الأفراد:

يعمل قادة إسرائيل دائماً على رفع الروح المعنوية للجنود بين الحين والآخر، لاسيما مع ازدياد حالة الإحباط التي يعيش فيها المجتمع الإسرائيلي عامة جراء تردي الوضع الاقتصادي. وقد ازداد هذا الشعور في السنوات الثلاث الأخيرة التي تولى فيها "أريل شارون" حكم الدولة العبرية، وفشله في إجراء الإصلاحات الاقتصادية التي وعد بها مراراً في حملاته الانتخابية، ومن شأن انتصار عسكري على دولة عربية كبرى سيكون له أبلغ الأثر على رفع نفسية جنود الاحتلال الإسرائيلي، ولا يمكن أن نفرق في هذه الجزئية بين جنود إسرائيل وجنود الولايات المتحدة.. الدليل على ذلك وجود أفراد يهود شاركوا داخل الجيش الأمريكي في غزو العراق، ولا يمكن كذلك الربط بين هذه الجزئية الأخيرة وبين وجود جنود مسلمين في القوات الأمريكية، فموقف كلا الطرفين كان واضحاً، ووسائل الإعلام الأمريكية والعبرية نقلت ردود أفعال كلا الفريقين، فالفريق اليهودي كان يشعر بالسعادة مع كل تقدم في الحرب، وتزداد الحماسة الدينية لديهم ليس لصالح

أمريكا بل لصالح "الحلم اليهودي الكبير".. بينما تؤكد نفس المصادر الإعلامية أن "الفريق المسلم" ظهرت عليه بوادر الغضب والتمرد في معظم الأحوال على هذه الحرب.

وأكدت تقارير عسكرية إسرائيلية مثل تقرير "الجيش الإسرائيلي لعام 2003م" على أن احتلال العراق والمتغيرات التي بدأت تطرأ على منطقة الشرق الأوسط ساعدت كثيراً على رفع الروح المعنوية للجنود، وزيادة وتيرة التدريبات أملاً في انتصار جديد. ولم تخف المصادر الصهيونية أن أمل الجنود الجديد يكمن في محاربة سوريا وهي ضمن "الحلم الكبير".

* تطوير الآلة العسكرية الإسرائيلية:

منذ اندلاع حرب الخليج الثانية عام 1991م وإسرائيل ترى في هذه الحرب مفتاح التحول في المنطقة العربية، وأكدت الحرب على العراق هذه الفكرة، ولم تقتصر الرؤية الإسرائيلية على التغيير في الوضع على الأرض أو ما يعرف بالوضع الحدودي للدول العربية، ولكن رأت إسرائيل في هذه الحرب فرصة لتحديث وتطوير نظامها العسكري وآلاتها بما يتوافق مع النظريات الحربية والعسكرية الجديدة، وليس أدل على ذلك من التقرير الذي نشرته صحيفة هآرتس الإسرائيلية في 7 مايو 2003م تحت عنوان "ضرورة تكوين جيش الكتروني لإسرائيل". وملخص هذا التقرير أن الحرب الأمريكية على العراق غيرت من نظرية الجيوش الروتينية المعتمدة على كم الجنود وليس نوعية الآلات التي يدخل بها الجيش الحرب، واستعرض التقرير بعض الأرقام حول الآلات التي استخدمتها القوات الأمريكية في هذه الحرب وهي أسلحة تكنولوجية عالية التقنية كانت لها الدور الفعال في احتلال العراق، منها على سبيل المثال استخدام 800 طائرة مقاتلة متطورة وصل عدد غاراتها إلى 40 ألف غارة، منها 30 ألف غارة تم فيها إلقاء القنابل باستخدام ربع القوات الجوية فقط، بينما في حرب الخليج عام 1991 تم استخدام 1800 طائرة قتالية قامت بـ 120 ألف غارة منها 40 ألف غارة قامت بإلقاء القنابل عن طريق استخدام 70% من القوات الجوية. وتوصل خبراء العسكرية الإسرائيلية إلى ضرورة إجراء إصلاحات في الجيش بدأت بالفعل في شهر يوليو الماضي، وتشمل:

- تأهيل وتدريب قوات برية خاصة للعمل بموازاة الطائرات المقاتلة.
- تطوير أسلحة ذات قدرات توجيه دقيقة جداً للهدف المطلوب إصابته.
- تطوير طائرات بدون طيار قادرة على حمل الصواريخ والقيام بمهام التصوير جواً والاتصالات المباشرة مع بقية فروع الجيش.
- زيادة الطائرات الهجومية ذات الكفاءة القتالية، حيث أبرمت إسرائيل صفقة مع الجيش الأمريكي تتضمن حصولها على 102 طائرة متطورة من طراز "اف 16" والتي تم استخدام عدد منها في الحرب على العراق.

من ضمن المكاسب العسكرية أيضاً زيادة فرص التدريب المشترك بين الجنود الأمريكيين والإسرائيليين، واستفادة كلا الطرفين من الآخر، فإسرائيل عملت على تعليم الأمريكيين بحرب الشوارع التي تمارسها يومياً ضد الشعب الفلسطيني، مقابل منح الجيش الأمريكي لنظيره الإسرائيلي نفس الملابس التي يستخدمها جنوده، وبعض الوسائل القتالية الخفيفة، إضافة إلى إرسال ضباط إسرائيليين إلى مراكز الأبحاث

العسكرية في الولايات المتحدة لتلقي بعض الدورات التدريبية على استخدام التقنيات الحديثة في الحروب الجديدة المُسمّاة بـ "الحروب الالكترونية" .. علاوة على سماح الجيش الأمريكي بوجود أكثر من 5 آلاف جندي إسرائيلي في غرب العراق لحماية "أمن إسرائيل" من الصواريخ العراقية-على حد زعمهما-!
المكاسب الاستراتيجية:

يمكن تقسيم المكاسب الاستراتيجية الإسرائيلية من احتلال العراق إلى قسمين :
الأول: انتهاء تهديدات دول الطوق

من أهم المكاسب التي حصلت عليها إسرائيل من احتلال العراق ما صرح به رئيس معهد أبحاث نظريات المعارك في الجيش الإسرائيلي البروفيسور "شمعون نافيه" بأن هذه الحرب واحتلال العراق أدى إلى انتهاء "التهديدات الكلاسيكية" المتمثلة في دول الطوق ذات الحدود المشتركة مع إسرائيل، ويؤكد على أن هذا التغيير الحاصل في المنطق أضعف تهديد هذه الدول لإسرائيل.

الثاني: إخضاع الدول الأفريقية

اهتمت إسرائيل -من خلال التأكيد على الولايات المتحدة- بضرورة إخضاع دول القرن الأفريقي، واستغلال ثرواته الاقتصادية ونقاطه الاستراتيجية لخدمة المصالح الأمريكية -الإسرائيلية المشتركة. ومن أهم مظاهر هذا الاستغلال السيطرة على "مضيق باب المندب" أحد المنافذ الاستراتيجية التي اعتمد عليها العرب بصفة عامة ومصر بصفة خاصة في حرب رمضان 1393هـ/أكتوبر 1973م، والذي تم إغلاقه إبان حرب 73 من قبل الدول العربية والأفريقية المتعاونة في ذلك الوقت مع العرب ضد إسرائيل وحلفائها، واليوم بعد احتلال القوات الأمريكية للعراق، عمدت واشنطن وإسرائيل للضغط على عدد من دول القرن الأفريقي لمنع مجرد التفكير في التصرف في هذا المضيق في حالة وقوع أي حرب يكون طرفها إسرائيل. لذا سعت واشنطن إلى ترسيخ أقدامها في صورة قواعد عسكرية في اريتريا وجيبوتي، فيما يتم حالياً ترسيخ أقدام الإسرائيليين في الشمال عن طريق التحالفات الاقتصادية والعسكرية المتبادلة بينها وبين دول هذه المنطقة. فالولايات المتحدة من جهتها ضغطت مؤخراً -ولا تزال- على حكومة السودان من أجل الموافقة على تقسيم الثروات مع المتمردين في الجنوب بزعامة "جون جارنج" الذي تؤيده واشنطن والقوى الاستعمارية والانجلو مسيحية، ويبدو أن الضغوط الأمريكية قد أتت أكلها، حيث ساعدت حكومة السودان في نقل 20 ألف يهودي من "يهود الفلاشا" الإثيوبيين إلى إسرائيل، فيما وصفته صحيفة معاريف العبرية بأنه دليل على التقدم الكبير في مستوى العلاقات بين السودان وإسرائيل.

وعلى الجانب الآخر، تقدم إسرائيل لدول إفريقية المطلة على حوض بحيرة فيكتوريا وذوي التأثير على مجريات نهر النيل، مساعدات عسكرية "مجانية" وخبرات وأدوات تكنولوجية في مجال الري بالتنقيط وفي المجالات الزراعية، وهو ما وطد العلاقات بين هذه الدول وإسرائيل لدرجة قيام دولة مثل "تنزانيا" في 16-2-2004م بإعلان رفضها لاتفاقية توزيع حصة المياه الخاصة بنهر النيل الموقعة عام 1929 بين مصر ودول الجنوب الأفريقي، والتي تنص على عدم قيام أي دولة من هذه الدول بمحاولة التأثير على حصة مصر من المياه وإلا اعتُبر ذلك بمثابة إعلان حرب، وقد سبق الإعلان التنزاني

تصريحات مماثلة لوزير الري الكيني خلال اجتماع وزراء الري في شهر يناير 2004م.
المكاسب الاقتصادية:

أصبحت آبار البترول مرتعاً في أيدي الصهاينة، ووفقاً لتقرير أذاعه راديو الجيش الإسرائيلي قبل أسابيع فإن العراق يحصل على دولار واحد فقط من ثمن كل برميل بترول يتم استخراجة من حقوله النفطية، بينما يذهب باقي ثمن البرميل إلى الولايات المتحدة وشركاتها التي يرأس غالبيتها رجال أعمال إسرائيليين، ويقف وراء الشركات التي حصلت على النصيب الأكبر في عملية الاعمار رجال أعمال إسرائيليين ومسؤولين حكوميين، ولم يكن غريباً ألا نرى للدول العربية دوراً بارزاً في عمليات إعمار العراق. المكسب الاقتصادي الثالث لإسرائيل هو ما كشفتته مصادر كردية 17/2/2004 عن تمكن إسرائيليين من امتلاك مساحة كبيرة من الأراضي الخصبة في المنطقة العراقية الشمالية، والتي سُمكّنهم من تحقيق هدف استراتيجي في نفس الوقت وهو مراقبة الحدود العراقية- السورية، مما سيكون له أثر بالغ على زعزعة الأمن على الحدود السورية إذا ما رأت اسرائيل ضرورة شن الحرب على سوريا كما يتم التخطيط لذلك منذ احتلال العراق بل وقبل ذلك!

هذا بالإضافة إلى مكاسب اقتصادية متفرقة مثل تهريب الأدوات الكهربائية والصحية وبعض مواد التكنولوجيا الإسرائيلية المستعملة وغير الجيدة -والتي لا يوجد لها سوق في إسرائيل ربما لتلفها أو ارتفاع ثمنها- لبيعها في العراق.
مكاسب "التنازلات العربية":

لعل من المكاسب الكبيرة التي حصلت عليها إسرائيل ولا تزال هو ما يمكن تسميته بـ"التنازلات العربية" خاصة في الصراع العربي- الإسرائيلي الذي تحول بفعل الضغوط الأمريكية-الإسرائيلية إلى صراع فلسطيني-إسرائيلي، وتم تفريغ القضية الفلسطينية من ثوابتها. وهذا التعنت الشاروني ليس وليد مصادفة، بل هو يدرك أن الوجود الأمريكي في المنطقة العربية يؤمن ظهره، وأن الإدارة الأمريكية -التي لم تنتقد شارون ولو لمرّة واحدة- ستؤيده لأنه حليف استراتيجي، خاصة بعد أن تم تصنيف المقاومة العراقية والفلسطينية ضد المحتل الأمريكي والإسرائيلي على أنها "إرهاب".

[↑ للعودة للأعلى](#)